Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد الثامن عشر || تاريخ الإصدار 2026-09-20

# تمثلات الأحلام والكوابيس في القصة العراقية القصيرة ( نماذج مختارة)

Representations of Dreams and Nightmares in the Iraqi Short Story: Selected Models

**مدرس دكتور رباب قاسم عبدالأمير عبدالجليل**

Dr. Lecture Rabab Qasim Abdul-Amir Abdul-Jalil

**اللغة العربية الأدب الحديث ونقده**

**جامعة سامراء- كلية الادارة والاقتصاد**

ORCID: https://orcid.org/009-009-3466-8598

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61836

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

**الملخص:**
تتناول الدراسة تمثّلات الأحلام والكوابيس بوصفها تقنيةً سرديةً قصديةً في القصة العراقية القصيرة المعاصرة، عبر نماذج مختارة لأنمار رحمة الله وضياء جبيلي وميثم الخزرجي وعزيز الشعباني ومحمد الكريم. وتنطلق من كون الحلم فضاءً لا معقولاً يكشف المكبوت ويؤوّل الواقع المأزوم بلغةٍ رمزية موحية. وتقرأ النصوص قراءةً تحليلية تأويلية تربط البنية الحلمية بمرجعياتها: قمع السلطة السياسية، والعنف الأسري والمجتمعي، ودمار الحرب، وانسلاخ الذات وفقدان الإرادة والهوية. وتُظهر أنّ القاصّ العراقي يجعل من الكابوس معادلاً موضوعياً للحياة الراهنة، ومن التأويل باباً وحيداً لفكّ شفراته. فيغدو الحلم قناعاً فنياً يقول ما يعجز الخطاب المباشر عن قوله.

**الكلمات المفتاحية:** الأحلام، الكوابيس، القصة العراقية القصيرة، السرد اللامعقول، التأويل، الرمز، المسخ والتحوّل، الواقع المأزوم

**Abstract:**

This study examines the representations of dreams and nightmares as a deliberate narrative technique in the contemporary Iraqi short story, through selected works by Anmar Rahmatullah, Diyaa Jubaili, Maytham al-Khazraji, Aziz al-Shabani, and Muhammad al-Karim. It proceeds from the premise that the dream is an irrational space that lays bare the repressed and interprets a distressed reality through a suggestive symbolic language. The texts are read analytically and interpretively, linking the dream structure to its referents: political oppression, familial and social violence, the devastation of war, and the alienation of the self with the loss of will and identity. The study shows that the Iraqi short-story writer turns the nightmare into an objective correlative of present-day life, and interpretation into the sole gateway to decoding it, so that the dream becomes an artistic mask voicing what direct discourse fails to say.

**Keywords:** Dreams; Nightmares; The Iraqi short story; The absurd (irrational) narrative; Interpretation (hermeneutics); Symbolism; Metamorphosis and transformation; The distressed reality.

**المقدمة:**

شكلت الأحلام والكوابيس مساحة واسعة في متون الروايات والقصص العربية على مر العصور فلم يكن توظيفها جديداً في السرد بل موغلاً في القدم كما جاءت في الملاحم والأساطير، وكان للقرآن الكريم الأثر الواضح في تضمينه لنصوص قرآنية دلت على هذا البناء معنى ومضمون، وتمثل الكوابيس في السرد، ((تلك المشاهد الحلمية التي نجدها في المتون الأدبية والتي تأتي لغايات سردية يتطلبها بناء النص الأدبي وعوالمه المتخيلة، لذا تسهم الأحلام السردية في البنى الجمالية والمعرفية للنص، والمشاهد الحلمية في النص هي تقنية سردية يراد منها الإبلاغ وتعميق الفكرة وخلق أجواء نفسية تنسجم مع ثيمة النص وتأويل شفراته السردية))[1] وحضورها هو بمثابة حضور الآخر للذات؛ لأنها تكشف عن غير المباح به والرغبات المكبوتة في اللاوعي؛ لأنها ((تحتوي على خيال رحب من خلال قدرتها على التحرر من حقائق الأمور التي سرعان ما تتحول من خلاله إلى صورة خيالة حالمة، أو رافضة، أو مأساوية، أو أسطورية، أو طريفة، أو ممسوخة، وغير ذلك من تشكيلات حلمية استهوت الكثيرين من القصاصين))[2] فهي تمثل حياة أخرى للإنسان يصوغه الكاتب لمقصدية تحملها رسالة بشكل رمزي غامض، هذه الحياة تجمع بين عالمين حقيقي وخيالي مشكلة حدث آخر خارج الوعي مشحون بتأويل جديد يعمل على جذب عنصر التشويق إلى جانب وجهة نظر القاص وعرض حالته النفسية أو حالة غيره من بني جنسه، ويمكن عد الأحلام والكوابيس ضمن فئة السرد اللامعقول كونه يدور في فضاءات وهمية ذات عمق دلالي ليس له وجود في الوعي الذاتي إذ ((تنتمي إلى المتخيل الإبداعي المبتكر لغايات سردية معينة، ففي العمل الأدبي تكون الأحلام السردية التخييلية الإبداعية مقصودة وغير عفوية وتمتلك دلالات وشفرات تأويلية تكتمل بها ثيمة العمل الأدبي ويكتنز بها المشهد السردي))[3] من هنا تبرز لا

---

([1]) الرؤى والأحلام السردية (دراسة في الوظائف)، غانم حميد عبودي، مجلة أبحاث ميسان،جامعة ميسان، المجلد السابع عشر، العدد الرابع والثلاثون،2021: 196.

([2]) تنوع أساليب السرد في القصة القصيرة، مقاربة نقدية في قصص أحمد زلط، د. علي عبد الوهاب مطاوع، كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة بني سويف: 813-814.

([3]) الرؤى والأحلام السردية (دراسة في الوظائف)، غانم حميد عبود: 197.

معقوليتها التي تستند إلى جدلية عجيبة تجعل من التأويل بابها الوحيد لفك رموزها، فضلا عن قيمتها الجمالية والفنية التي تضيفها للعمل تبرز من خلالها مدى تمكن الكاتب من نصه في بيان توظيف هكذا بنى وفق أنساق سردية جعلت من أسلوب الكتابة الحديثة تحتل مرتبة عالية من التألق بفعل تجسيد هكذا ثيمات خيالية،

تكتسب هذه القراءة عمقها حين تُسنَد إلى إطارٍ نظري يضبط مفهوم اللامعقول الحلمي. فالعجائبي، كما يقرّره تزفيتان تودوروف، ينهض على تردّد القارئ إزاء حدثٍ غريب يتعذّر حسمه بين تفسيرٍ واقعي وآخر خارق، وهو التردّد الذي تعيشه شخصيات هذه القصص وهي تتنقّل بين اليقظة والكابوس دون فاصلٍ حاسم[4]. وتزداد البنية الحلمية كثافةً حين نقرؤها في ضوء التحليل النفسي، إذ عدّ فرويد الحلم طريقاً إلى اللاشعور تُفصح عبره الرغبات المكبوتة عن نفسها بالرمز والتكثيف والإزاحة[5]، وهو ما يفسّر اتّخاذ القصّاصين الكابوسَ قناعاً يقولون به ما يعجز الخطاب المباشر عن مواجهته، ولا يقف الأمر عند الكابوس المفزع، فأحلام اليقظة عند غاستون باشلار فعلُ تخييلٍ خلّاق منتجٌ للصور، وليس شروداً سلبياً[6]، وهو ما يضيء قصص الأمنيات المجهَضة "التي تجعل من الحلم متنفّساً للذات المأزومة، وحين ينتقل هذا كلّه إلى شعرية السرد العربي يغدو العجائبي أداةً لإنتاج المعنى" [7]، فيتحوّل انزياح النص عن المألوف إلى شفرةٍ لا يُفكّ رمزها إلا بتأويلٍ يقرأ لاوعي النصّ ذاته[8].

من خلال هذا الطرح أعلاه نلج باب التحليل لنماذج قصصية لكتاب عراقيون معاصرون حملت بين طيات صفحاتها العديد من القصص المتناولة هذا الجانب من القص، مستهلين هذا البحث بالمجموعة القصصية (عودة الكومينداتور) للقاص أنمار رحمة الله التي صدرت عن دار تموز والتي تحتفي بعدد من النصوص الكابوسية التي حملت مواضيع مجتمعية بارزة الحضور الديني والثقافي والفكري، إذ يضعنا القاص في دوامة التخييل بعرض الواقع المأزوم بحذافيره وهو يورد أحداثاً بشخصيات مؤنسنة ناطقة بلغة الأحلام لكنها منطلقة من الواقع**((فلمح كتباً تحمل مُديات صقيلة، صنعت دائرة على كتاب ذي جلاد ممزق، وهيئة فقيرة، راكع على الأرض، وكتاب عملاق يتوعده بمسح كلماته، وتمزيق اوراقه...سأله مسعود عن الكتب الواقفة حول هذا الكتاب الراكع، فأجابه الطفل: إنهم شقاوات المكتبة وزعيمهم. منذ وقت وهم يطاردون كل كتاب لم يدفع الإتاوة في سوقنا الكبير))**[9] نجد هنا صورة معبرة عن حال الفقراء الذين مزقت الفاقة رداء أيامهم وجعلتهم يركعون للذل، وفيه إشارة إلى الناشطين في الثورات والانتفاضات الذين جابهوا بالصد والردع في سبيل تغيير موقفهم الوطني وفكرهم الإنساني، **((ولأن مسعود من النوع الذي(يمشي قرب الحائط)ظل يراقب المنظر بعد أن أرجعه إلى الماضي السحيق. لقد تعلم مسعود طيلة الفترة الماضية، مع حكومات كان يصفها بالبوليسية حكمت البلاد، أن لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم. كي يعيش بأمان، خالٍ من الالتزامات الفكرية))**[10] ليوضح هذا المقطع السردي هذه الإشارة من أن البعض أخذ موقف المتفرج من أحداث هزت كيان المجتمع حفاظا على مبدأ فكري ثقافي اجتماعي هو الصواب ولكن البوح به قد يؤدي إلى تغيير مسار حياة إلى الهاوية ففُضل الصمت على تغييره، لتوجه سهام النقد إلى الوضع السياسي على وجه الخصوص، ثم تستكمل هذه السهام توجهها نحو هدف آخر تغرس نصلها في جوفه لتقدم رمزية أخرى في غاية الأهمية والخطورة حين اقتادت الشقاوات مسعود إلى مخزن المكتبة حيث سيسجن هناك بتهمة التجسس يضعنا الراوي أمام مفارقة سردية تتحدث عن السجون وحالات التعذيب التي تحدث بين قضبانه وغياهب جوفه فتتهرأ داخله ملامح المتهمين أثر التعذيب وتمحى هويتهم وتتلاشى أفكارهم ومبادئهم التي لطالما نددوا بها أمام سلطات القمع، سنين تمضي وهم منطوين تحت هوامش الأيام تحرق صفحات حياتهم اعترافات استلت من العدم، فتظهر هنا عدائية المكان حين صور السجن مظاهر العنف التي سلبت القيم الإنسانية لأشخاص قبعوا خلف قضبانه كان نتيجة بقائهم هو عدم التخلي عن هذه المبادئ وهو ما جسدته الشخصية المؤنسنة النامية التي صادفها مسعود داخل زنزانته والتي أوصلت المفارقة السردية في الحديث عن الطبقات المثقفة التي تقبع داخل السجون بتهم التحريض والثورة على النظام في مشهد رسم صورة فجائعية معبرة عن المعاناة النفسية التي تواجهها هذه الطبقات التي باتت معرفةُ أسباب وجودها في هذه الأماكن وعدمه سيان والفرد الذي أصبح يعرض الواقع ولو بكلمات ينسجها فكره على ورق يجبر على التغيير أو يتهم تحت ذريعة التحريض والتأجيج وهذا ما شاهدناه

---

([4]) ينظر: مدخل إلى الأدب العجائبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة: الصديق بوعلام، تقديم: محمد برادة، دار الكلام، الرباط، 1993: 189

([5]) ينظر: تفسير الأحلام، سيغموند فرويد، ترجمة: مصطفى صفوان، مراجعة: مصطفى زيور، دار المعارف، القاهرة: 156

([6]) شاعرية أحلام اليقظة: علم شاعرية التأمّلات الشاردة، غاستون باشلار، ترجمة: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991: 29

([7]) العجائبي في الأدب: من منظور شعرية السرد، حسين علاّم، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010: 27

([8]) ينظر: التحليل النفسي والأدب، جان بلمان–نويل، ترجمة وتقديم: حسن المودن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان: 24

([9])عودة الكومينداتور، انمار رحمة الله، ط1، دار تموز، دمشق،2012: 25.

(10)واسألهم عن القرية، أنمار رحمة الله، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2016:52.

في الثورات التي حدثت في الآونة الأخيرة من حركة تعسفية خالية من ملمح الإنسانية بحق الناشطين، ثم ترسم لنا شخصية هذا الكتاب ملمحاً إنسانياً معبراً عن موقف ثابت قدمه السارد بلغة موحية حين قال**((هل أنت خائف من الموت؟**

**أبداً..**

**لماذا؟**

**الموت عندي أفضل من تصحيح كلماتي بأخريات لا أؤمن بهن...ثم نظر الكتاب المعتقل إلى مسعود طويلاً...أنت إنسان؟**

**أنا..؟ نعم إنسان.. ولكن كيف عرفت هذا؟!**

**ألم يخبرك بهذا أحد من قبل؟**

**نعم نعم.. أنا أعرف جيداً هذا، ولكن في هذه القرية لم أصادف كتاباً يعرف ما هو الإنسان؛ لأن المكتبة النظيفة قد محت كل كلمة أو فكرة تشير إليه، كيف في السابق كنت القرية تعج بروائع الكتب المحترمين. لكن حكومة المكتبة النظيفة قتلت بعضهم وشردت البعض الآخر ولم يبق فيها غيري وبعض السجناء المعتقلين في هذا السجن الكبير))**[11] نجد هنا الشخصية الرافضة التي تؤثر الموت على تبديل مبدأها وفكرها وفطرتها الإنسانية التي جبلت عليها فما يعاش لا يؤمن به بأنه الصواب، كما نجد عودة للماضي تشير إلى شخصيات كان لها قيمها الإنسانية المنشودة لكن بتكالب وتوالي السلطات قمعوا نتيجة لمواقفهم.

ثم يغوص القاص مرة أخرى في عمق الخيالات الكابوسية ليرصد لنا واقعة اجتماعية أخرى ترويها قصة (كابوس المحلة)بحلم غريب يزور سكان المحلة إلا مختارها والقصة من عنوانها أعطت انطباعاً أولياً بعالمها ضمن بنية سردية غريبة تحدثت بمعاناة طفل لا يبكي ولا يتكلم ولا يصرخ يعبر عن المواقف التي تواجهه مهما كانت بشاعتها بابتسامة عريضة مع أم طرشاء اسمها(نخوة) آثرت العزلة مع ابنها، ليبتدئ السارد حكيه بشخصية الصحفي الذي يستفسر من مختار المحلة عن طقوس غريبة يقوم بها سكان المحلة عند دار هذا الطفل الذي منحه الكاتب اسماً غريباً (جعوص) ليبدأ المقطع الاستهلالي بعرض المشهد الحواري بين الصحفي والمختار**((هل ينام جنابك مرتاحاً بشكل أفضل من الآخرين؟(يتساءل الصحافي وهو يمسك ورقة يدون فيها ملاحظاته، فيردُّ عليه مختارُ المحلة ذو اللحية البيضاء):الحمد لله...حيث لا ينام أهلها باسترخاء ويحلمون بذلك الكابوس إلا أنا، أنام وأصحو مرتاحاً))**[12] النص في مجمله يحكي استغلال ضعف الفرد عندما لا يكون هناك قائم عليه يحميه فجعوص هو الولد الذي ليس له في الحياة سوى أمه وعمه الذي امتدت إليه بشاعة العالم الذي طغت بشاعته على صلة الدم حيث لا رحمة تذكر في جوف هذا العم ولا في تلك المحلة**((حين صار كلّ واحد منهم يرغب في تفريغ غيظ أو غضب يعتري صدره، يأخذ جَعوص إلى خرابة صغيرة مهجورة محاذية للحي، وينهال عليه ضربً وإهانة...النساء صرن يتناوبن عليه أيضاً. كل واحدة منهن صارت تستعين به لتفريغ غضبها))**[13] نجد هنا تسيد سلطة العنف والقسوة المجتمعية من بعض الأفراد بحق البعض الآخر ممن يرونهم أقل شأناً منهم، فجعوص هو مثال لكثير من الأطفال الذين يواجهون عنفاً مجتمعياً وأسرياً في الوقت نفسه إلا أن تعنيفه الأسري جاء من قبل عمه فالكثير من الأطفال اليوم بعد غياب الأب(موته)نجد عهدتهم تقع على عاتق أقرباء الأب لكن العم هنا صوره السارد بدور غير المبالي بحال زوجة أخيه وابنها وهذا حال الكثير من العوائل الآن التي أصبح مدى رؤيتها عائلتي فقط غير مبالية بالتركات الإنسانية التي تخلفها وراءها النفوس المودعة، ثم يحيل النص إلى عالم الكابوس الذي يراود أهل المحلة أجمعهم بعد وفاة جعوص ووالدته حين قال المختار**((هنا حدث الشيء الذي أثار أهل المحلة وجعلهم يقومون بهذا الطقس أمام داره؟ (يقول الصحافي ويجيب المختار عن سؤاله):**

**نعم.. فالخسارة الوحيدة التي صرَّح بها أهلُ المحلة، أنهم لم يهنئوا في نومهم بتاتاً، بسبب الكابوس المخيف الذي حمهم من لذة النوم المريح. وصاروا يلطخون دكة دار جعوص بالحناء، ويوقدون على سياج المنزل الشموع طلباً للرحمة))**[14] فالكابوس هنا هو الضمائر المؤنبة التي أصبحت شحيحة الحضور في مثل هكذا ظواهر ومواقف وما الحناء إلا رمز لتغيير الواقع وما الشموع إلا استعارة لتبصرة هذه الضمائر من غفلتها التي لو بقيت على سباتها سيمتد ذلك الظلم والتهميش من جيل إلى جيل أما فيما يخص مختار المحلة الذي لا يزوره هذا الكابوس نجد في دالته أن لابد من ان يخرج من رحم الإنسانية ضمير حي ينطق بمعاناة هذه الفئات ولو مجرد محاولة في تسليط الضوء عليها أو انتشالها من معاناتها وهذا الوظيفة حملها المختار في محاولته اخبار عم جعوص ووالدته ثم محاولته من إخراجه من قوقعته وتنبيهه من غفلته الساذجة، فبعض المواقف

---

([11]) واسألهم عن القرية: 55-56.

([12]) أبناء البغايا الطيبون، أنمار رحمة الله، دار منشورات، ط1، 2022، بغداد: 71.

([13]) المصدر نفسه: 75-76.

([14]) المصدر نفسه: 82.

وان يؤلمنا وقعها إلا أنها توقظنا من غفلة كانت قد تربطنا بمصير محتوم لا تحمد عقباه**((توجهتُ إلى منزله، ولما رأيته جالساً عند دكة الباب جلستُ أمامه وأردت إرشاده إلى أن يتحلى بالقوة والصرامة. تكلمت كثيراً حتى نال الإرهاق من فكّي ولساني. لكنه وكالعادة لم يتحدث بل كان يبتسم لي الابتسامة العريضة ذاتها!!...لم أفهم لماذا صرتُ أضربه بكل قوتي وهو يتحاشى ضرباتي))**[15] ومن هنا يرتسم لنا الواقع مرة أخرى ببناء نصي حمل رسالة اجتماعية أخرى عبرت عن**((ردة فعل تجاه قوى القهر والاستلاب، رغبة في إدانة الواقع الخارجي ومحاولة تعريته للكشف عن المعاناة الإنسانية))**[16] نطقت بمعاناة فئة تبحث عن المروءة والنجدة في وجوه الحاضرين عندما أصبحت النخوة تفتقد من الأقربين.

وللكاتب قصة أخرى تهيمن عليها الاجواء الكابوسية، يتناول من خلالها المنظومة السياسية وما اجترحته على الفرد من ويلات حولت حياته إلى كابوس مرعب. وتوظيفها هنا بنمط سردي لامعقول يمارس السياسة بوصفها أدباً تخييلياً يسرد عن طريق الكوابيس أو الحروب أو أي مخيال سردي آخر[17].ففي قصة (كوابيس السيد مسجون) نلحظ الكاتب وهو يصور هذا الجانب بسوداويته حيث الواقع يحيلنا إلى كوابيس يصعب التخلص منها.

يضعنا السارد الداخل في الحكي والذي أطلق عليه تودوروف السارد (المجسّد) أمام تمظهرات سياسية كثيرة ضمن بنية نصية اتخذت من الحلم منفذاً تعبر من خلاله عن مشاعر الشخصية فالصراع الذي تعيشه في أحلامها ما هو إلا حاضر التسلط الذي ألقى بخيامه على حياة الشعب يستهله الراوي بقوله**((نعم.. بلا شك كنت أعلم أنني سأصل إلى نهايتي الأليمة؛ لأن قرار إعدامي قد صدر في الحلم الأخير، ولم يتبق سوى تنفيذه كما أخبرني السجان وهو يضحك ساعتها. ولو أنني علمت أيها الأصدقاء أن الأحلام تلك كانت ستؤدي بي إلى حتفي لما نمتُ أصلاً...ولم يخالجني شكٌ أن اسمي الذي أطلقه عليَّ والدي هو سبب نحسي. من يسمي ولده باسم "مسجون"))**[18] متتالية حلمية تسردها شخصية (مسجون) الذي يعيش معاناة السجن الحلمي لأحلام الواحد مكمل لأحداث الآخر، ثلاثة أحلام رمزت للسياسة بجانبها السلطوي**((لقد حدث هذا معي في أول حلم حلمته من هذا النوع، حين اقتادني في عالم المنام رجالُ أمن بعد أن تطاولت على(القائد العام للكوابيس المسلحة) كنت جالسا في مقهى عام...فلم يلبث الجالسون في المقهى إلا واختفوا الواحد تلو الآخر وتشتتوا كما يتشتت البخار في الهواء. وذلك لأنهم غادروا الحلم بعد أن اسيقضوا من نومهم. أما أنا لم أصحُ وبقيت عنيداً في حلمي))**[19] مقاطع باحت بفوضوية السلطة التي باتت أحلام الفرد في التحرر من القيود والمطالبة بالحق المشروع والتعبير عن الرأي في ظلها محرم ولا يجوز التحدث به، ليعاد علينا فضاء السجن بمأساته الإنسانية وتتحدث الحروب بوحشيتها ودمارها النفسي والجسدي فمن كثرتها أصبحت تلازمنا كوابيسها الممقوتة**((لقد كان ذلك الكابوس مليئا بالبارود والنار والدخان ورائحة الجثث))**[20] ثم تتوالى الأحداث داخل عالم كابوسي يتحدث بحقيقة نظام سياسي قد عنى من خلاله الكاتب النظام السابق فالقائد العام للكوابيس المسلحة وموت القائد وابن القائد الذي يخرج بخطاب ينفي موت والده**((قائلا: شعبا الكابوسي العظيم.. أبي لم يت ولن يموت.. هو بصحة جيدة وسأستلم مقاليد السلطة بشكل مؤقت.. سنحاسب الخونة))**[21] كلها دالات ربما عناها الكاتب ليصور ذلك النظام في تلك الفترة، ولكن كوابيس قمع السلطة تستمر ونتاجاتها في السجون خير دليل وهذا ما وظفه الكاتب بنية السجن التي ألح على تكرارها في أحلامه كلها ليرسل رسالة مغزاها أن الأحلام في ظل هكذا أوضاع تسودها روح القمع تتلاشى ولو ألحنا في طلب تنفيذها ربما تقود للمصير المحتوم.

يستكمل النص ضالته ضمن أجواء كابوسية تصل بالحدث الى ذروته عندما يحكم على مسجون بالموت شنقاً في محكمة قاضيها ابن القائد وكل من فيها نسخة مكررة عنه ليقدم لنا هذا التشابه مرآة عاكسة عن بعض الشخصيات التي تقلدت مناصب معينة إذ لم تختلف كثيرا عن سابقتها بل بقيت المعاناة قائمة وزادت حدتها حتى أصبحت كالكوابيس التي ما آن لنا أن نصحوا من وهمها حتى بعد انطلاق جرس الحرية والتحرر المتمثل بالثورات والانتفاضات جرس يحاول كل مرة ينشر صداه بين الجموع المقموعة ليقابل بالردع الفوري، وها نحن نحاول ونحاول ان نستفيق من كابوسنا الواقعي دون جدوى؛ لأن واقعنا أحكم قبضته وضيق الخناق على رقابنا بحبل مشنقة القوانين والأنظمة التي باتت تعارض حتى نفسها أمنيات أصبحت بعيدة المنال فكان لتوظيف أسلوب التمني دوره هنا؛ لأن**((جملة التمني في النحو القصصي تعمل على نقل السرد من مستوى**

---

([15])أبناء البغايا الطيبون: 79-80.

([16]) العجائبية في الرواية العراقية المعاصرة المنجز الروائي في ذي قار اختيارا، ضياء غني لفتة: 79.

([17]) ينظر: سياسة الأدب، جاك رانسير، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2010، ط1: 15.

([18]) أبناء البغايا الطيبون: 104.

([19]) أبناء البغايا الطيبون: 105.

([20]) المصدر نفسه: 106-107.

([21]) أبناء البغايا الطيبون:108-109.

**الحضور إلى مستوى الغياب. وهي غالبا ما تعمل على مغادرة الواقع السردي المعيش))**[22] ثم تستكمل القصة حدثها حين يدق الجرس لإعلان انتهاء الحلم، فتبخر الشخصيات والمكان ما هو إلا بعض هذه القوى المتمثلة بالسلطة تذهب ليحل محلها غيرهم لكن تبقى حبال قيودهم وقوانينهم الخاصة تضيق الخناق وتكبل معصم حياة الشعب لتركنهم إلى السير وفق مبدأ الخضوع أو مواجهة المصير**((ولكم ضحكت على تقرير الطبيب الشرعي، حيث عثروا على جثتي في فراشي يومها، ولم يتوصل إلى معرفة سبب موتي وأنا نائم سوى أن "السيد مسجون "قد مات مختنقاً أثناء نومه...فأغلبكم قد مات في الواقع بحوادث حقيقية وطبيعية، ولكن صدقوني ليس هناك ما هو أغرب من أن يموت الإنسان بسبب أحلامه كما حدث معي..))**[23] فكم من مطالب بحقه مات على اختلاف فئات الشعب، وحلم مسجون هو حلم شعب كامل يطالب بمشروعية حقوقه ممن هم ولاة عليه وليس بمالكين شرعيين، وها هو النص ناطق بواقعية معاشة صورها الكاتب ضمن عالم متخيل ليلقي الضوء على هنة مجتمعية أودت بالفرد إلى التهلكة.

يطل علينا التراث الأدبي بحلة جديدة تبرز فيها بنية التناص بشكل جلي حين وظف القاص ميثم الخزرجي موضوع التحول والمسخ في قصته(السنوات المتخيلة مع كافكا "التحول") ولكن بطرح معاكس لأدوار الشخصيات، وهذا التناول ليس بجديد على الأدب بل نجده موغلاً في القدم ففي نصوص ألف ليلة وليلة نجد هذا التناول أُناس تتحول إلى حيوانات، وغيرها من الأساطير التي حكت عن تحول البشر إلى حيوانات أو حشرات أو جمادات نتيجة لغضب الآلهة، وحين أتى الكاتب اليهودي فرانز كافكا مؤلفاً رواية(المسخ) التي عدت من أكثر الروايات الخيالية التي تصب في قلب اللامعقول والفانتازي في تلك الحقبة صار توظيف هذه العناصر رائجاً في السرد الروائي والقصصي كون المسخ أو التحول يمثل((قيمة أساسية في هذا النوع من الحكي العجائبي الذي لا يقيم حدوداً فاصلة بين ما هو بشري وحيواني أو طبيعي))[24] لذا نجده يحتوي على حدث غريب يخترق أفق المنطق العقلي ويغوص في قلب الأساطير.

بطرح لا معقول يقدم لنا الراوي بنية تناصية نسجت متنها على قرار رواية (المسخ) لكافكا لكن بتناول معاكس لتحويل الشخصية الرئيسية. فالكثير من النصوص السردية جاءت من رواسب النصوص السابقة لوجوده، فالجنس الأدبي منذ الأزل ذو فاعلية انفتاحية ولا يزال إلى اليوم كذلك، بحيث يأخذ كل نص جديد العناصر التي تحدد هوية النص السابق المأخوذة عنه أو المتفاعل معه ثم تجعله على مسافة كافية منه[25]، وربما هي تجربة الكاتب كون السارد يورد رحلة ولع بالقراءة والكتابة وكيف استهوته روايات كافكا وهو بالعراق ثم دمشق ثم لاجئاً في ألمانيا والاستقرار فيها ليكتب رسالته **((التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة أعوام وأطلقت عليها "حياتي المتخيلة مع كافكا" وقعت العديد من الأحداث الغريبة الخارجة عن المنطق، أو هكذا خلتها في البداية، قبل أن اعتاد عليها بمرور الأيام وتصبح جزء من يومياتي مع الكتابة))**[26]، حتى ترتسم جيوش الأحلام والأوهام والوساويس بحدث يقع له في ثلاث قصص من بينها قصة (التحول) التي تجلى فيها الحلم بأبعاده اللامعقولة، حين تبرز له أوهامه الكابوسية في إحدى الليالي بعد شروعه بكتابة دراسته عن هذه الرواية ليدخل في عالم خيالي**((فحلمت أني صرصار. نعم صرصار صغير يعيش مع عائلته في أحد المطابخ الدافئة، ويعتاش على النشا وفات الكعك وبقايا الشحوم...كنت نائما أيضاً في عالم ذلك الحلم، أو الكابوس المقزز. وعندما استيقظت من نومي الحُلمي ذاك وجدت أني قد تحولت إلى انسان.. وتحديداً إلى غريغوري سامسا ضخم وهائل. الأمر الذي أذهل أبويَّ فتوجسا منه خيفة.))**[27] مشهد إذا ما حاولنا تأمله سينقلنا إلى بعد داخلي وخارجي يتمثل الأول بالهواجس المخيفة حول العالم الخارجي الذي أصبح لا يعتق رقبة أحد من مسؤولياته ولا من صراعاته التي دفعت بالفرد إلى الاستغراب من كونه بشر يعيش على أرض له حقوق وعليه واجبات، حياة معيشية حولت أُناس إلى مسوخ ويستغرب فيها من هو على شاكلة مظهره الخارجي، أما البعد الخارجي فيصور سخرية هذه الحياة وهو يوجه نقده للواقع، لتتوالى الأحداث بغرابتها حين يصف حاله وحال والديه اللذين بقيا على حالهما حشرات**((تحسسا بقرونهما الاستشعارية الخطر القادم، وهو إصبعي السبابة الذي هبط عليهما، ورحت أداعبهما به مثل كلبين مذعورين، بغية طمأنتهما. لكني بمجرد أن لامستهما، حتى فرّا هاربين إلى إحدى الزوايا، وراحا ينظفان نفسيهما...تملؤهما الحسرة على ابنهما الذي تحول إلى إنسان قذر كما يُهيأ لهما. لكنهما لم يقطعا أرجلهما عن المجيء**

---

([22]) اسلوبية القصة دراسة في القصة القصيرة العراقية، د. احمد حسين جار الله، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد، ط1، 2013م، 142.

([23]) المصدر نفسه: 111-112.

([24]) العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة، سميرة بن جامع، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2009-2010 :52.

([25]) ينظر: تراسل الأجناس الأدبية في عالم وليد خلاصي القصصي، نضال صالح، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في سوريا، ع428، 2006: 23.

([26]) حديقة الأرامل، ضياء جبيلي، دار سطور للنشر والتوزيع، ط1، 2017، بغداد: 97-98.

([27]) حديقة الأرامل:101.

**للأطمئنان عليَّ بين فترة وأخرى...وقد شقّ عليهما اعتيادي التدريجي على حياتي الجديدة))**[28] يسلط النص الضوء هنا على معادلة حياتية بين الآباء والأبناء في تقبل نمط حياة الأبناء في العيش باستقلالية فالبعض من أولياء الأمور يراه تهرباً من مسؤوليتهما وانشغاله بمزاولة حياته الخاصة بعيدا عنهما خصوصا حين يدخل شخص آخر إلى حياتهم كالزوجة التي تصبح في بعض العوائل الدخيل الذي سيستولي على حياة الابن فتكون له أحقية التملك المعنوي والمادي**((وفي يوم من الأيام، في إحدى تلك الزيارات، اكتشفت أمي رائحة غريبة كات تنبعث من سريري.**

**"امرأة! "قالت وقد تملكها الغضب: "في فراش ابني امرأة!"**

**"ما الغريب في ذلك؟ "سمعتي أبي يقول لها: أنت تعلمين أن ابنك ما عاد صرصاراً، وها هو الآن يسلم نفسه إلى قذارة البشر تفووو!".**

**"لابد أن نتدخل" قالت أمي مغورة بحقد الحموات الأزلي على الكنّات زوجات الابناء:"...**

**"وإن يكن" صاحت الأم بوجه زوجها، ناهرة إياه:"أوليست بشرية إنسية قذرة؟"))**[29] نلاحظ القصة أخذت منحى آخر تعبر عنه وهو العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة حيث أبرزت الصراعات التي تحدث بين الأمهات وزوجات الأبناء ومدى تمكن الأخرى في حق التملك على مجرى حياة العائلة، فبقاء الأبوين صرصارين وإرادتهما ببقاء ابنهما صرصار هو الرغبة في بقاء الابن تحت إرادتهما من دون الشروع بمزاولة استقلاليته التي يراها بعض أولياء الأمور خروجاً عن عهدتهم، لينتهي الصراع بموت الأم حين تسلل إلى فراش الزوجة ووقفت أمام وجهها**((فجأة.. وبحركة سريعة، مباغتة، فتحت الكنة عينيها، وأخرجت يدها ن تحت الوسادة. كانت تمسك عبوة مبيد حشري، رشت منه على أمي وأردتها قتيلة في الحال))**[30] غير ان هذا الموت لا يراد به الموت الصريح فقدان الحياة بل موت الود والتفاهم والمعاملة بالحسنى بين هذين الطرفين وما عبوة المبيد إلا استعارة عن وصف الكلام الذي يحدث في مثل هكذا خلافات عائلية.

القصة ترسم لنا العجز الذاتي وتجريد الذات عن صاحبها فهو في تحوله إلى إنسان صور لنا سلب الذات وانسلاخها من هويتها حتى يبرز صراع الغير عليها من غير ان يكون هناك حيلة في رجوعها وهذا ما نجده في الشخصية الرئيسية التي اتخذت موقف المتفرج على حاله من دون أن يكون له رأي يُتخذ أو موقف يعتبر، وجاءت علاقة التحول هنا لتدل على ((البحث عن الهوية، فالانفصال والخروج إلى الآخر ليتعرف الإنسان على هويته الأصلية من جديد))[31] فكان لجوء الكاتب إلى هكذا طرح خارج عن اللامألوف من أجل فك شفرات دلالية تهدف إلى تقديم صور تتعالق مع الحياة اليومية المعاشة وأزماتها، بنية حلمية نطقت بمعانٍ أدبية رمزية تجلت من خلالها واقعية متأزمة للعديد من الأفراد الذين يواجهون انعدام الكيان داخل أسرهم فيستغرب منه مبادرة تحاول إبراز هذا الكيان، كما أظهر النص بشاعة وسوء هذا العالم الذي أصبحت الحشرات تستنفر بشاعته وتستنكر حال افراده الذين عدمت هويتهم في ظل هكذا صراعات.

ومن خضم الصراعات على أغلب الأصعدة يرصد لنا القاص ميثم الخزرجي بنية سردية تتعالق مع أحلام اليقظة لتنطق بمعاناة الفرد؛ لأن((طبيعة الصراع الاجتماعي والفكري والهزات العنيفة التي لا يكاد يخلو منها مجتمع في العصر الحديث تنعكس حتماً في الحياة الأدبية))[32] وهذا الانعكاس نجده في شخصية الراوي الذي تحدث بضمير المتكلم وبسرد موضوعي مستخدماً الحلمَ استخداماً مجازياً ليعبر عن رؤية فكرية.

النص ناطق بمأساة شاب ضاق ذرعا بالحياة فبعد أن كانت طفولته في متناول والديه كانت أحلامه تتحقق، فمن حلمه باقتناء دراجة هوائية إلى رغبته بتقبيل(ميّادة) كلها أحلام بريئة عبرت عن مدى بساطة الحياة في مرحلة عمرية كل ما فيها إرضاء النفس بالقليل، حتى ينتقل إلى فئة ما بعد العشرين حتى تتكالب عليه هموم الحياة في ظل واقع اجتماعي مأزوم جعل من أحلام اليقظة متنفساً لها للبوح عمّا في الكوامن من اضطرابات، فيتحدث عن معاناته من سن التاسعة والعشرين حين تغيرت حياته وحتى أحلامه التي امتدت لها يد الفاقة ولعقتها **((قديماً وفي سطوة حكاياتنا التي تورخها النادبات قيل: "إن أردت التجلي في المنام ما عليك إلا أن تنسلَّ بمخيلتك طوعاً، ستسرحُ عند أيَّةِ أمنيةٍ تفضي لها الوقت، ومن ثَمَّ ستنعم بنومةٍ هانئةٍ شريطة ان تترك قدميكَ الهائمتينِ مكشوفتينِ للهواء ستنفثُ حلماً وقته بسعة اللقطة التي اجتذبتك او يتسع فضاؤها بالقليل، لكنه سيبخلُ في إطالته بل سيترك من احداثهِ مختصرات لا تبالغُ في تفسيرها للوصول إلى لحظة اليقين))**[33] تستدعي الأحلام هواجسها هنا لتبني دالة

---

([28]) حديقة الارامل: 101.

([29]) المصدر نفسه: 102.

([30]) حديقة الارامل: 103.

([31]) المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة، أمينة أبو بكر، الهيئة العامة للكتاب، مصر،1994، ع4، مجلة13: 240.

([32]) العلاقة العضوية بين المضمون والشكل الفنيين، مقالة، د. صلاح خالص، مجلة الثقافة الجديدة، عدد10، 1970: 37.

([33]) بريد الآلهة، ميثم الخزرجي، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1، 2019: 38.

لغوية معبرة عن معاناة أُناس أصبحت الهموم عنوانهم حتى الأحلام أصبحت تستكثر عليهم زيارتها؛ لأنها ستترك في إحدى زوايا أمنياتهم شحت تحقيقها؛ لأن الواقع يتحدث بما ينافيها، وهكذا يبوح النص بهذا العالم الذي أصبحت الأمنيات فيه بدائرة أحلام اليقظة تحدها الأزمات على اختلافها من كل الجهات**((تسمَّرتُ قليلاً نحو أفق يحمل ملامحَ خيباتنا الممضةِ، هل أنَّ ما أتمناهُ ليس ذا سعةٍ من مساحةِ الحلمِ؟ هل أنَّ أحلامنا شاسعة إلى درجة الرفض؟،سأترككُم لهمِكم وأنفذ بنفسي...لكم تمنتُ من الواقعِ الذي نعيشه ان يستحيلَ إلى كابوس نصحو على مغادرته-ولو بعد حين- عند ذلك الوهج الجميل المسمى الحياة.. أرجوكم املأوني بالصور الجميلة لكن لا تدعوني للنوم، إلى متى ونحن نلوذ بأحلامِنا الواهيةِ ونترك يقظتَنا راكسة بالتيه))**[34] حياة أصبحت تضيق بأحلام أفرادها سؤال موجه من قبل السارد البطل إلى من يعنيه الأمر في تسهيل مجرياتها فكم هو كم الأمنيات التي تختلج دواخلنا آملين تحقيقا بعد صحوة هذا الكابوس نجد لمشروعية أحلامنا أمر بالتنفيذ، على أمل اسمه حياة هانئة في فضاءها القبول، كما نجد خطاب داخلي يدعو إلى عدم الخنوع لليأس فنحن من نؤسس لأحلامنا ومادامت اليقظة راكسة في غيابة التيه لا حرية ستلفظ انفاسها ولا أمنيات تتسلق طوق النجاة من هذا الواقع المزري، القصة مرآة عاكسة لأزمات إنسانية عاشتها البشرية تحت وطأة الاستبداد والطمع والعنصرة حتى أنهكت أفراده وسحقت أحلامهم التي أصبح تحقيقها شبه مستحيل، قصة جسدت معاناة الحرمان حين جعلت الحلم معادلاً موضوعياً للحياة الراهنة المليئة بالأوهام والكوابيس والتي أصبح القبض عليها أمراً صعباً.

إن غوص الكاتب في أعماق اللامعقول وغير المألوف لا يلغي حقيقة انطلاق النصوص السردية من الواقع وهذا ما نجده في عموم النصوص التي تناولتها بالتحليل لتستكمل الدراسة مسيرتها عند القاص عزيز الشعباني في مجموعته القصصية(الولد الذي رأى برهان أمّه) بنصوص هي أقرب إلى عوالم الأحلام والأوهام مجسدة في أغلب نصوصها الفكرَ العقائدي لبعض الأفراد وهذا ما حمله العنوان من رؤية البرهان فهي الدالة السيميائية التي نسجت من خلالها القصص مضامينها، لكن ما يهمنا هنا هي النصوص التي احتوت على بنى حلمية وكابوسية حملت دلالة فكرية عن تلك الرؤى، نبتدئها بقصة(بُعدُهُ الميتافيزيقي) التي يتخذ فيها السرد شكلا متناوبا بين ما هو حقيقي وما هو لا معقول يحكيه السارد بضمير المتكلم**((أبي المعلّم الأول الذي علمني الكذب، ومن شدّة ورعه كان الناس ينادونه "الملا" بل البعض منهم شطح إلى أكثر من ذلك ولقبه "النبي" فقد كان يشفي مرضاهم ويعمر نفوسهم بالرضا))**[35] بناء نصي تجلى من خلاله الفكر العقائدي(الديني) فالأب هو المربي الأول ومنه نستقي فكرنا حول الحياة وما فيها من رؤى يحتكم اليها العقل البشري في فترة عمرية معينة، النص يعرض جدلية العلاقة بين الأب والابن وكيف يلجأ الآباء في بعض الأحيان إلى الكذب في سبيل غرس فكرة معينة أو مبدأ حرصا على بقائها ضمن أولوياتنا لكن قد لا يراد بالأب هنا الذي أوجدنا في هذه الحياة واستعاره الكاتب من اجل التعبير عن أشخاص معينين أصبح تواجدهم عند بعض الناس بمثابة الأب والراعي الأوحد لفكرهم وطريقهم ومنهاجهم هم بعض رجال الدين أو من على شاكلتهم الذين يتخذون من الدين ذريعة الإتباع في سبيل كسب مناصرين لآرائهم المثلى كما يدعون، لتستل هذه الأفكار حتى في أحلامنا فتأخذ نصيبها من التجلي **((من شدة الألم تتعب أعصابي فأنام...في الحلم يزورني الله بهيأة طبيب أبيض، شبيك خبصت الدنيا؟"**

**تؤلمني يا رب!**

**"يمكم صيدلية التفاح الأخضر اشتريلك شريط كفلكس وفضهه"!**

**في الصباح يعاود أبي مشروع الكذب: ألم أقل ان الله معنا؟**

**لكن الله قال لي اشتري "كيفلكس" يا أبي!))**[36] هالة حلمية وظفت اللهجة العامية بين سطورها لتجعل من النص أكثر واقعية فالكثير منهم نجده يتحدث بطريقة الواعظ المربي المتخلخلة توازناته اللفظية والفكرية، وإيراد إسم لدواء هو ان بعض حالات المرض التي يتعرض لها الإنسان يرجعونها إلى عالم ميتافيزيقي حيث الاستطباب عند بعض الناس ممن يرنم تراتيل بحجة انها تشفي وان ارجعها لقدرة الله التامة في الشفاء نجده ينكر الحقائق العلمية التي جعلت من الأطباء والعلاجات أسباب للشفاء، ثم يعاود الراوي بسرد حكيه ليصل بنا إلى عالم الماوراء في هذا النص حين يقول**((ثم فقد بُعدَهُ الميتافيزيقي وتحول الى رجل عادي، لولا الموت ينقذني، ويعيد اليه ميتافيزيقيته، لظننت انه كباقي العالمين، ولظننت ان العرش بلا راعٍ! في تاريخ أبي المحشو بالأكاذيب هفوات كثيرة...يا بني إذا أردت لشيء أن ينو ما عليك سوى دفنه في التراب، وكثيراً ما كان يدفن حصاة صغيرة فتخرج وردة، حين رحل قبل دخول الحرب بغصة، قد يكون قرأ الطالع فانسحب، دفنته في التراب امتثالاً لمقولته!**

**منذ ذلك الحين وأبي لم يخضر!**

---

([34]) بريد الآلهة: 39-40.

([35]) الولد الذي رأى برهان أمّه، عزيز الشعباني، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2019: 5.

([36]) الولد الذي رأى برهان أمّه:6.

**يا له من كاذب خبير))**[37] نرى هنا استهجاناً لهذه الأكاذيب التي تستغل بعض الناس وتسيرهم وفق أيديولوجية خاصة بهم جعلت من الموروث العقائدي والحاضر موطن صراع تتخبط فيه الرؤية فتنعدم، فالأب أو الملا هو رمز لهم والابن هم الطائفة المتبعة هذه التماهيات الخاضعة لأيديولوجية الأب الحاكم، وما عملية الدفن إلا انزياح وظفه السارد في سبيل طمس هذه الأفكار وعدم السماح لها بالنمو داخل فكرنا، فالنص حمل بين سطوره بعد صوفي وفلسفة عقائدية أوضحت موقف الناس منها.

يصدمنا الواقع مرة أخرى حين يوظف القاص بنية الحلم في قصة(Mass) التي مزجت بين عالم خيالي وواقعي**((كل حلم مشؤوم يتحول إلى كتلة تظهر على شكل "شامة" في جسدها، وهكذا، مع تراكم أحلامها المشؤومة غصَّ جسدها "بالشام" وكلما تخلو بنفسها تضع جسدها على سرير الفحص وتبدأ بالعد:**

**هاي الشامة من حلمت بالعاصفة تكسر بجذع النخلة، وجان ثاني يوم يندعم أبو محمد وتنكطع رجله، و هاي الشامة من يوم حلمت بالدجاجة تبيض حصو، وجان ثاني يوم زوجة ابني يسوولها اسقاط))**[38] ارتبطت هذه البقع السوداء في القديم بتأويلات عدة منهم من أرجعها إلى تأويل يرتبط بقدر الإنسان الحاملها وبعضهم يرجعها إلى علامة جمالية والعكس عند البعض الآخر إلا أن توظيف السارد لها هنا جاء ليعبر عن سوداوية الحياة وهمومها المتكالبة كما ارتبطت ببعض التكهنات التي كانت تحكى على لسان النادبات والجدات لترتبط القصة بالموروث الشعبي أيضا إلا أن التوظيف جاء هنا دال على الحاضر المعاش بكوارثه وهمومه من كثرة الأمراض والصراعات والحروب التي ما تنفك تلازم الإنسان المعاصر لتتحول هذه الاحداث إلى آثار نفسية وجسدية نقشت مجرياتها داخل أحلامنا فتتحول إلى كتل سوداء تملأ عالمنا**((لا تسألي يا دكتورة، إنه حلم الليلة البارحة، الحلم الذي لم يكن "شامة" في زيارتها الثانية للعيادة اندهشت الطبيبة وهي تنظر في شاشة السونار: ما هذا يا أم محمد؟**

**هل راودك حلم مشؤوم خر؟**

**نعم هذه الليلة، قبل مجيئي هنا**

**بكل تأكيد، هزّت رأسها الطبيبة، بككل تأكيد فهذه كتلة أخرى في الرحم!!**

**تنهض، تترك دهشة الطبيبة، يميل بها الشارع، تسقط مغشية عليها بمجرد أن ترى جنازة تقف على باب دارها ملفوفة بالعلم العراقي!))**[39] وها هي الحرب تعود بأوزارها لتكون كتل من الجماهير التي حملها عنوان القصة فترجمة(Mass)تعني كتلة و(Masses)تعني الجماهير، جماهير القتلى الذين احتشدوا في صفوفها فتركوا ندوبا يستحيل محوها كما هو وجود الشامة في الجسد فهي باقية المعلم حتى الممات((**وهذه Mass ثالثة، تمتمت الطبيبة، ثم استأنفت: لماذا تحولت أحلامك يا أم محمد من الشام إلى ال(Masses)؟**

**ما عادت بشرتي تستوعب البكاء، لذلك، صارت أعضاء الجسد تبكي.. حشرجت أم محمد!!!))**[40] جماهير من الويلات التي عصفت بالبشرية حولت أحلامها إلى ندوب وكتل من الأوجاع التي ما عاد الجسد بكيانه المادي والحسي أن يتحملها فيركن إلى الذبول، وللقاص قصة أخرى بعنوان(رسالتان لحلم واحد) حملت المغزى نفسه في سر أحداث حلمية لشخصية الابن الذي يعيش معاناة الخوف من أحلام أمه يستهلها السارد بضمير المتكلم وهو الشخصية الرئيسية**((لا أحب الرسائل الموحية التي يمتلئ بها بريد أمي الحلمي، تلك التي حين يستثمرها الشيطانُ تصمت أمي، تصمت بعنف ثم تخلع عقلها خارج الموقف...قالت أمي وكانت تتكلم بيقين ثابت عن حلمها:**

**رأيت السماء مسحورةً بثوبك الأبيض ورأيتك تمتد، تمتد، تمتد، للمنتهى!**

**ترى، هل كانت تدري أن هذا امتداد ورمٌ سرطاني، وهل كانت تعلم أن السماءَ مسحورة بموتي القادم؟))**[41]، ثم المعاناة الأكبر عندما تخطئ الفاحصة بإعطائه نتيجة شخص مصاب بالسرطان هذا الخلط جاء نتيجة إصابة جهاز سمعها بضرر خلفه لها انفجار قرب العيادة، لتعود علينا أوهام الكوابيس التي باتت أقرب إلى الحقيقة منها إلى الأحلام، وهذا التكرار في المضمون جاء لتأكيد هذه الكوابيس التي لازمت النفس البشرية وأصبحت تعبر عما في الدواخل، والأمراض أصبحت تحيل إلى ظلمة الحياة وبؤسها كتل سرطانية من العجز الروحي الذي أخذ ينهش المجتمع من دون أن يكون هناك علاج نهائي لهذه المعاناة ومجيء الكاتب بمثل هكذا بنى حكائية والتأكيد عليها بفضاء كابوسي لامعقول؛ لأنها تهتم

---

([37]) المصدر نفسه:7-8.

([38]) الولد الذي رأى برهان أمه:12.

([39]) الولد الذي رأى برهان أمه: 13-14.

([40]) المصدر نفسه: 14.

([41]) المصدر نفسه: 15-16.

بـ((ملامسة الجوانب القابعة في اللاشعور الكائن من أجل تجسيد أزماته وحقيقته الكابوسية التي باتت تقضي مضجعه))[42] رسائل عدة يحتفظ بها بريد ذاكرتنا لحلم واحد بات يخطئ في تفسيره الواقع فيصبح التعايش مع الأوهام والحقيقة وجهان لعملة واحدة يصعب التفريق بينهما، جمع السارد هنا حلم امرأتين الأولى أم أمجد عبد الله والثانية زوجة أحمد عبد الله اللتين كان حلمهما الشفاء للابن من العقم والزوج من السرطان، ليعكس العنوان دالته هنا في تصوير ان بعض الأحلام التي تأتينا على شكل رسائل موحية قد تتحقق فتقلب صفحات الحاضر والمستقبل داخل دوامة الحاضر المعاش، ومعاودة تصوير الذات الإنسانية وما يعتلجها من أزمات تعبر عنها الأحلام بدل التصريح المباشر بها نجدها عند القاص محمد الكريم في مجموعته القصصية(أبي يركض وراء قطيع الأحلام) وفي القصة ذاتها التي اختيرت عنواناً للمجموعة نلمح سمات اللامعقول حين نجد في عتبة القصة مفارقة واضحة بين الواقع والأحلام، وكأن القاص يُجيب عن سؤال طرح عليه أين أبوك؟ ليظهر في الجواب المونولج الداخلي المعبر عن قلق الشخصية واضطرابها النفسي من الأحداث، أب، ركض، قطيع، أحلام، كلها دالات لغوية أوحت بغرابة النص ودفعت بالقارئ إلى التأمل في عالمها التأويلي ليأتي دور المتن القصصي في البوح بمضمونه الرمزي الذي حملته عتبة العنوان**((مرَّ المساء بسرعة خاطفة كوميض البرق لكنني لم أر ما شاهدته في الليالي السبعة الماضية.. كانت ليالي الكوابيس..- أبي يهرب من لوحته المعلقة على جدار صالة الجلوس في عتمة الليل.. يركض وراء القطيع..!! أغمض عينيَّ لحظات.. لربما أنا في كابوس ابيض يزورني الصباح بغتة.. أطلق أنفاسي الحارة على وجه الوسادة- يا الهي، أبي مازال يحرس الكراسي!!))**[43] استهلال يبتدئه الراوي بسرد مفردات هي موطن الكوابيس وحضورها(مساء، ليالي، عتمة الليل) والليالي السبعة الماضية التي لها وقع خاص في المرأى والمسمع عند القارئ تجعله يغوص في خيالات التأمل فكُتّاب السرد يلجؤون إلى توظيف الأعداد من أجل شحن السر بالدلالات وإعطاءه واقعية أكثر من خلال إيراد دالة عددية زمنية وتوظيفها هنا جاء لخدمة رمزية الحرب التي سأتناولها في مبحث الحروب إن شاء الله، وهروب الأب من اللوحة في عتمة الليل ماهي إلا إشارة إلى الوعي الإنساني والأب قد لا يراد به الأب الحقيقي بل هو مجاز لجأ اليه الراوي من أجل تجسيد إرادة الإنسان وتحكيم عقله، طلبا في الخروج من العدم والركون الذي يغوص به الإنسان وقطيع الأحلام تشبيه أراد به أن الإنسان الذي تعدم إرادته ويضمحل وعيه الانساني تصبح أحلامه المتعددة كقطيع البهائم أحلام لا تفقه وجهتها لذا عليه أن يتمسك بمبادئه، واللون الأبيض يرسم لوحته هنا ليعبر عن احتمالية زيارة أمل ولو في كابوس يحط ركابه عند الهدف المنشود في التحرر لكن هذا الكابوس الأبيض سرعان ما يقلب السارد دالته إلى الليل وهذا وإن دل على شيء دل على الكآبة والعتمة والبؤس الذي أصبح يُسور مسرح الحياة، وحتى لا يسقط علينا جدار التفكك الذاتي والضياع الفكري فلا نستطيع الخروج بعدها علينا التمسك بالمبادئ والأفكار وأن لا نغيرها فيضطر بنا الحال أن نلج حياتنا من فتحات ضيقة كمنفذ السارق، اللص الذي يستغل فجوات ضعفنا فيستغلها لصالحه **((أبي، رأيتك تركض وراء القطيع حلم يتكرر كل ما أسدل ستارة العرض اليومي على مسرح الحياة عن عيني، كيف تفسره لي؟؟**

**لا يا ابني حيث أنا مازلت متمسكا بأفكاري ولن أبدلها مهما تبدل الدهر.. قم يا ولدي وافتح الباب. ادخل من حيث تَهدّم الجدار فقد ترك الانفجار فتحات ليستغلها اللصوص))**[44] قطيع من الأحلام اليومية يمر في شريط الذاكرة كلما أسدلنا ستارة التمني لتلعب جملة الاستفهام هنا دورها حين تكررت صيغة السؤال أكثر من مرة داخل النص كونها((تؤدي وظيفة إخبارية في سياقات تشكيل الحوار الخارجي، حيث تقوم المقاطع الحوارية على بنية (السؤال والجواب) في إيصال تفصيلات العالم الحكائي إلى القارئ))[45] ثم ينتهي النص بسؤال إلى بعض الناس ممن فقدوا إرادتهم بالحياة هل ستبقون تربون قطيع الأحلام هذا الذي لا يرمي إلى تحقيق المنال والمبتغى أم أن إرادتنا ستتغير**((اذهب يا أبي اذهب وأعلن صرختي ..انتظرُ الليل لأراك في كابوس آخر هل ستبقى في اللوحة أم ستركض وراء القطيع بعد أن فقدت أحفادك؟؟..))**[46] صرخة النهضة من العدم ليأتي دور الابن هنا دور العصامي المطالب بإيصال صوته وانتشال الراكن والمعدم والفاقد لإرادته، قصة بلغت صورتها مبتغاها في رسم انزياح لغوي يصور الواقع بهناته عندما يكون السلام كابوس يُحتبس داخل لوحة الامنيات.

يعاود الكاتب اشتغال الحلم مرة أخرى ليشير إلى قضية أخرى تنبع من داخل اللبنة الأساسية وهي الأسرة في قصة(كابوس طفولة)حين يبوح الراوي العليم برغبته برؤية حلمه بوضوح**((عندما كان عمري عشر سنوات ارتديت نظارتي قبل أن أنام كي أرى الحلم بوضوح، دون أن يراني احد، لكن النظارة انكسرت واستيقظت باكيا. سمعني أبي فجاء راكضا خشية أني قد أكلني الكابوس، كانت الكوابيس تداهمني دائما. لكن أبي حين عرف بكسر نظارتي ضربني حتى اغمي علي.. استيقظت صباحا وجدت كل شيء على حاله ونظارتي في مكانها..))**[47] القصة من نمط

---

([42]) العجائبية في الرواية الجزائرية، الخامسة علاوي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م: 315.

([43]) أبي يركض وراء قطيع الاحلام، محمد الكريم، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013: 13.

([44]) أبي يركض وراء قطيع الأحلام: 15.

([45]) اسلوبية القصة دراسة في القصة القصيرة العراقية، 130.

([46]) أبي يركض وراء قطيع الاحلام: 15.

([47]) ما تجلى في العتمة، محمد الكريم، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017: 87.

القصص القصيرة جدا فالنص كله هذا المقطع السردي لكن على قصره حمل معنى كبير ومهم حين تناول قضية التعنيف الأسري، العنوان حمل سوداوية حياة هذا الطفل فكابوس طفولته يتمثل بالتعنيف على أبسط الأشياء من قبل والده وارتداء نظارته لرؤية حلم ما هي إلا إشارة لأمنيته في رؤية واقع آخر غير الذي يعيشه بعيد عن بيئته الأسرية التي يكابد فيها معاناته وهذا ما عناه في عبارة (دون أن يراني أحد) وكسر النظارة في الحلم هو تأكيد على مأساته التي يرفضها حتى الحلم، وصحوته أكدت له هذه المأساة في أن بعض ما نتمناه صعب الحصول ولو رأينا أمانينا مرأى العين وفي متناول اليد؛ لأن الواقع المحتوم يحكم قبضته على خناقنا ليفقدنا وعي الشعور بالتحرر والخلاص من أزمات لازمت بعض الأطفال منذ الطفولة حولت حياتهم إلى كوابيس مخيفة داخل فضاء من المفترض هو بر الأمان والسكينة الروحية والجسدية، فالشخصية هنا تعاني الاضطهاد ونتيجته لازمتها الكوابيس الدائمة، كما جاء تكرار النظارة ربما الطفل يعاني عاهة ولادية فبعض الآباء يتجهم ويبتئس من ولادة هكذا طفل في عائلته فهو سيكون عالة عليه ومحط تنمر لأقرانه أو قد يكون في تكرارها بيان الرؤية الواضحة لواقع هكذا أسر وهمجية هكذا آباء، محكي سردي صور جانب من معاناة الحياة التي يكابدها بعض الأفراد وهم في مقتبل العمر لتتحول مكابدتهم إلى أحلام آملين التخلص منها ليستيقظ واقعهم على رؤية جديدة للحياة تخلصهم من أزمتهم النفسية والجسدية.

**الخاتمة والنتائج**

تخلص الدراسة إلى أنّ الأحلام والكوابيس في القصة العراقية القصيرة ليست عنصراً زخرفياً، وإنما تقنيةٌ سردية واعية اتّخذها القصّاصون قناعاً رمزياً للبوح بما يتعذّر قوله صراحةً: استبداد السلطة، ووحشية الحرب، والعنف داخل الأسرة والمجتمع، وتآكل إرادة الفرد وهويته. وقد صار الكابوس فيها معادلاً موضوعياً لواقعٍ مأزوم، تنهض لا معقوليتُه نفسُها بوصفها المدخل إلى المعنى، فلا يُفكّ رمزُه إلا بالتأويل. وبذلك تلتقي النصوص جميعها عند وظيفةٍ واحدة: تَعرية الواقع الإنساني وإدانته عبر عالمٍ متخيَّل منطلقٍ من هذا الواقع لا منفصلٍ عنه.

1- الحلم/الكابوس تقنيةٌ قصدية غير عفوية، ذات شفراتٍ تأويلية تكتمل بها ثيمة النص وقيمته الجمالية

2- غلبة البُعد السياسي، إذ يصير الكابوس معادلاً للقمع والسجن والإعدام، كما في "كوابيس السيد مسجون"

3- حضور العنف الأسري والمجتمعي بوصفه كابوساً يومياً معيشاً، كما في "كابوس المحلة" و"كابوس طفولة"

4- اتّكاء النصوص على التناص والمسخ (التحوّل عن كافكا) لتصوير انسلاخ الذات وصراع الهوية داخل الأسرة .

5- تنويع الأدوات الأسلوبية (التمني، الاستفهام، اللهجة العامية، اللغة الشعرية) لتعميق البنية الحلمية ودلالتها.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**المراجع**

**أولًا: المجاميع القصصية**

أنمار رحمة الله .(2012) .*عودة الكومينداتور* .دار تموز.

أنمار رحمة الله .(2016) .*واسألهم عن القرية* .دار سطور للنشر والتوزيع.

أنمار رحمة الله .(2022) .*أبناء البغايا الطيبون* .دار منشورات.

عزيز الشعباني .(2019) .*الولد الذي رأى برهان أمّه* .دار قناديل للنشر والتوزيع.

ضياء جبيلي .(2017) .*حديقة الأرامل* .دار سطور للنشر والتوزيع.

محمد الكريم .(2013) .*أبي يركض وراء قطيع الأحلام* .دار تموز للنشر والتوزيع.

محمد الكريم .(2017) .*ما تجلّى في العتمة* .دار تموز للنشر والتوزيع.

ميثم الخزرجي .(2019) .*بريد الآلهة* .دار الكتب والوثائق.

**ثانيًا: الكتب**

باشلار، غاستون .(1991) .*شاعرية أحلام اليقظة: علم شاعرية التأمّلات الشاردة* (جورج سعد، مترجم). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بلمان-نويل، جان. (د.ت.) .*التحليل النفسي والأدب* (حسن المودن، مترجم ومقدم). دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

تودوروف، تزفيتان .(1993) .*مدخل إلى الأدب العجائبي* (الصديق بوعلام، مترجم؛ محمد برادة، مقدم). دار الكلام.

الجار الله، أحمد حسين. (د.ت.) .*أسلوبية القصة: دراسة في القصة القصيرة العراقية*.

رانسير، جاك .(2010) .*سياسة الأدب* (رضوان ظاظا، مترجم). المنظمة العربية للترجمة.

علاّم، حسين .(2010) .*العجائبي في الأدب: من منظور شعرية السرد*.

علاوي، الخامسة .(2010) .*العجائبية في الرواية الجزائرية* .دار التنوير للطباعة والنشر.

لفتة، ضياء غني. (د.ت.) .*العجائبية في الرواية العراقية المعاصرة: المنجز الروائي في ذي قار اختيارًا*.

فرويد، سيغموند. (د.ت.) .*تفسير الأحلام* (مصطفى صفوان، مترجم؛ مصطفى زيور، مراجع). دار المعارف.

**ثالثًا: الدوريات والرسائل الأكاديمية**

أبو بكر، أمينة. (1994). المسخ في حكايات ألف ليلة وليلة .*مجلة الهيئة العامة للكتاب، 13* .(4)

بن جامع، سميرة .(2010–2009) .*العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة* .جامعة الحاج لخضر.

خالص، صلاح. (1970). العلاقة العضوية بين المضمون والشكل الفنيين .*مجلة الثقافة الجديدة*، .(10)

صالح، نضال. (2006). تراسل الأجناس الأدبية في عالم وليد خلاصي القصصي .*مجلة الموقف الأدبي*، .(428)

عبودي، غانم حميد. (2021). الرؤى والأحلام السردية: دراسة في الوظائف .*مجلة أبحاث ميسان، 17* .(34)

مطاوع، علي عبد الوهاب. (د.ت.). تنوّع أساليب السرد في القصة القصيرة: مقاربة نقدية في قصص أحمد زلط. كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة بني سويف.